

المتون العلمية - مفهومها أقسامها ورأي العلماء فيها -

د/ بشير مبارك

المركز الجامعي مرسلني عبد الله - تيبازة -

الملخص:

تبحث هذه الدراسة في المتون العلمية باعتبارها شرط أساسي في تعلم العلم الشرعي، هذا الأخير اجتهد الباحثين والعلماء حوله، فهو من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه، فكثير من العلماء كتبوا حول المتون لدورها في تسهيل ضبط مسائل العلوم. فالمتون تعتبر مسارا يسير عليه طالب العلم في تعلم العلم الشرعي، إذ تجعله متمكنا في مختلف فنون العلم، فالمتعلمين الذين يطلبون العلم من دون الاعتماد والعناية بها سرعان ما ينسون ما تم تعلمه .

الكلمات المفتاحية:

- المتون العلمية- العلم الشرعي- علماء الإسلام-الأصول- شرح المتن - المختصرات .

Summary :

This study examines the subject of Al-Mutun as a prerequisite in learning forensic science, The latter has worked hard for researchers and scientists to write about it. It is one of the best works that a servant brings closer to God, Many scientists have written about Al-Mutun That's for its role in facilitating the control of science issues, Al-Mutun is considered a path on which the student of science to learn islamic science, Students of science forget what has been learned without relying on them.

- Keywords:

- Al-Mutun Scientific -Islamic Science - Islamic Scholars – Assets – Explanation Al-Matn- Acronyms

- المقدمة:

يعتبر العلم الشرعي من أفضل وأجل الأعمال التي يتقرب العبد بها إلى المولى عز وجل، فبالعلم الشرعي تتالى الرفعة في الدارين فقد ورد في الحديث النبوي من أرد الله به خيرا فقهه في الدين.

فالعلماء اجتهدوا كثيرا في الكتابة حول مختلف العلوم النقلية، ومن بين هؤلاء من كد واجتهد في وضع المتون لكل فن من فنون العلم وذلك تسهيلا لضبط العلوم بمختلف مسائلها فبحفظها - المتون - انتشرت العلوم واستفادت منها الأمة المحمدية عبر العصور.

فالمتون كانت ولا تزال زادا لطالب العلم ومسارا يسير عليه لطلب العلم الشرعي، فهي تجعله متمكنا في مختلف فنون العلم، فالمتعلمين الذين يطلبون العلم من دون الاعتماد والعناية بها فسرعان ما ينسون ما تم تعلمه .

اعتبارا لذلك كان موضوع المتون العلمية هو محور مداخلتنا هذه الموسومة بـ: " المتون العلمية - مفهومها أقسامها ورأي العلماء فيها - " وخلال هذه الدراسة سأحاول أن أعرف بالمتون، وأعدّد مجالاتها، وأبين أهمية حفظها، وطريقة ذلك، وما قاله العلماء والمؤرخون فيها .

تتمحور الإشكالية التي تطرحها المداخلة في: المتون العلمية بالعالم الإسلامي للبحث في: ماهية المتون العلمية، وللإجابة عن هذه الإشكالية يترتب علينا الإجابة عن تساؤلات فرعية أهمها:

- ما المقصود بالمتون لغة واصطلاحاً ؟

- ما هي المجالات التي وضعت فيها المتون ؟

- ما هي الطريقة المثلى لحفظها ؟

- ما هي الآراء المختلفة التي سجلت لعلماء الأمة حول المتون العلمية ؟

أسئلة تطرح نفسها بإلحاح في هذه الدراسة، وللإجابة عن إشكالات البحث وتساؤلاته كان لا بد من اعتماد واستخدام منهج تاريخي معين بالرجوع إلى المادة العلمية الموثقة في مختلف أنواع المصادر التي تناولت الموضوع أو طرقته في إحدى جوانبه .

01- طلب العلم في الإسلام:

إن العلم بوابة العبادة فلا يستطيع المسلم أن يتعبد ربه من دون علم فهو القائل: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبُكُمْ وَمَتَوَكُّمٌ" (1) .

عندما جاء الإسلام كان من أبرز مظاهره وأثاره على المجتمع الإسلامي تقديره للعلم والعلماء ودعوته إلى التعلّم والتعليم، فحث الناس على طلب العلم وتعليمه، ودعا العقل الإنساني إلى التفكير وتمجيد العلماء والرفع من شأنهم وأقدارهم فقد أثنى المولى عزّ وجل على أهل العلم في أكثر من آية، كما كثرت الأحاديث النبوية الشريفة وبعض ما أثر عن الصحابة من أقوال تدعو إلى طلب العلم وتمجيد أهله، فمن الآيات القرآنية التي دعت إلى ذلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر، أول آية قرآنية نزلت على سيدنا محمد (ﷺ) صورة العلق التي دعت إلى القراءة وهي صريحة الدعوة إلى ذلك، قال تعالى: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (2) وقال تعالى: "أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ إِذَا نَادَى السَّاجِدَ وَقَانِيًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ" (3)، وقال تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ" (4)، هذه بعض الآيات من الذكر الحكيم التي دعت إلى طلب العلم وتمجيد أهله .

أما الأحاديث النبوية في هذا الشأن فهي كثيرة وسنكتفي بذكر البعض منها، قال صلى الله عليه وسلم: "فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم ومن أخذ به أخذ بحظ وافر" (5)، وعن أبي أمامه رضي الله عنه قال: ذكر للرسول صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عالم والآخر عابد فقال: " فضل العالم على العابد كفضلي على أذاكم" (6) .

أما ما أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في هذا المجال ما قاله علي بن أبي طالب في قصيدة شعرية من البحر البسيط يمجّد فيها أهل العلم مطلعها:

مَا أَلْفَحُرُّ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ *** عَلَى الْهَدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلَاءُ
وَقَدَّرَ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ *** وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

فَقَرَّ بِعِلْمٍ تَعِشَ حَيًّا بِهِ أَبَدًا *** أَلْنَأْسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ (7)

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: "تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قرية، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة" (8)، وذكر لنا ابن مرزوق في مسنده بيتين شعريين من البحر البسيط يمجدا فيهما العلم فيقول :

وَالْعِلْمُ يُحْيِي قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا *** تَحْيِي الْبِلَادُ إِذَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

وَالْعِلْمُ يَجْلُو أَلْغَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ *** كَمَا يَجْلِي سَوَادُ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ (9).

كان ولا يزال طلب العلم الشرعي من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه، ولما كانت المتون العلمية جد ضرورية لطالب العلم كما قيل: "بمعرفة المتون التي بحفظها يحوز الفنون" (10) وقيل أيضا: "من حفظ الأصول غنم الوصول، ومن ضيّع الأصول حرم الوصول، وأبعد عن الأصول، وطالت عليه الفصول، وفقد حتى القليل المحصول، ولو ظنَّ أنَّ إلى السماء وصولاً" (11).

إنَّ علماء الأمة قديما وحديثا أدركوا أهمية دراسة العلوم الشرعية وغيرها من العلوم وضرورة تدريسها للأمة فراخوا ينظمون المجالس والملتقيات العلمية التي اكتظت بهم المساجد والقصور والمدارس واستفاد منها خلق عظيم، والملاحظ أنَّ تلك المجالس العلمية غالبا ما كانت تدور حول كتب معينة على صغر حجمها اعتبرت من أنفع ما كتب في مختلف الفنون. تلك الموسومة بكتب المتون العلمية التي شملت مختلف فنون العلم ففي العقيدة نجد "لمعة الاعتقاد" لابن قدامة، وفي التجويد نجد: "تحفة الأطفال والعلماء في تجويد القرآن" للجمزوري "وفي الحديث: "الأربعون النووية" للنووي (12) وغيرها كثير .

ذلك اعتبر مسارا هاما يسير عليه طالب العلم لأن سلوك هذا الطريق بعد عون من المولى عزَّ وجل هو الذي يجعل الطالب متمكنا في العلم، وذلك ما كان عليه أهل العلم عبر مختلف الأزمنة، فطب العلم طلبا مجردا من غير عناية بالأصول والمتون فسرعان ما يذهب ما كان قد تعلمه، وهنا تبرز أهمية العناية بالمتون، لذلك اقتضت حاجة تعلم العلوم بالنسبة

للطلبة على منهج يسير عليه هؤلاء وهو المتن الذي يبني عليه الطالب علمه في مختلف فنون العلم، ثم شرح المتن، وحاشية على هذا الشرح وتقرير على الحاشية .

إنّ المتون العلمية وجدت منذ القدم لكنها لم تكن تعرف بهذا الاسم بل عرفت باسم المختصرات مثل: مختصر الخرقى عمر بن الحسين الخرقى المتوفى سنة (334هـ/645م)⁽¹³⁾، كان الغرض منها جمع المسائل الأولية البسيطة في متون صغيرة وبعبارة سهلة لتكون بداية لطلبة علم الفقه⁽¹⁴⁾ .

02- ماهية المتون العلمية:

أ- المتن لغة:

وردت عدة مفاهيم للكلمة في مختلف معاجم وقواميس اللّغة منها لسان العرب لابن منظور، وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي الحسني، والمعجم الوسيط، تختلف معاني الكلمة حسب موقعها في الجمل ومن ذلك نذكر:

المتن بفتح الميم وسكون المثناة الفوقية، قال ابن فارس: " الميم والتاء والنون، أصل صحيح واحد يدل على صلابة في الشيء مع امتداد وطول"⁽¹⁵⁾، والمتن من كل شيء : ما صلب ظهر، والجمع مُتُونٌ ومِتانٌ " قال الحرث ابن حلزة: والقوم قد قطعوا مِتان السجّج أراد مِتان السجاسج فوضع الواحد موضع الجمع، وقد يجوز أن يريد متن السجسج، فجمع على أنه جعل كل جزء منه متنا. ومتن كل شيء: ما ظهر منه. ومتن المزايدة: وجهها البارز . والمتن: ما ارتفع من الأرض واستوى"⁽¹⁶⁾، وقال أبو زيد: " طرّقوا بينهم تطريقاً ومَتَّنوا بينهم تمتينا، والتمتين أن يجعلوا بين الطرائق متنا من الشعر... والمتن والمِتان ما بين كل عمودين"⁽¹⁷⁾، وفي موضع آخر وجدنا أن المتن هو الوتر. كقولهم: " وتَنّه بالسوط متنا: ضربه به ضربا شديدا ..."⁽¹⁸⁾، ويقال أيضا ماتن فلانا فلانا إذا عرضه في جدل أو خصومة"⁽¹⁹⁾ وورد المتن بمعنى النكاح⁽²⁰⁾ .

ب- المتن اصطلاحا:

معناها واضع غز وردت بمعنى أصل الكتاب كما ورد عند البعض بقولهم: " والماتن في اصطلاح المؤلفين واضع أصل الكتاب وهو خلاف الشارح..."⁽²¹⁾، أما البعض الآخر فجرى

إطلاقه عندهم على مبادئ فن من الفنون تكتب غالباً في رسائل صغيرة وتخلو غالباً من كل ما يؤدي إلى الاستطراد في الكلام أو التفصيل كالشواهد والأمثلة إلا عند الضرورة وذلك لضيق المكان عن استيعاب كل شيء، لذلك عدت المتن الأقل ألفاظاً والأكثر قبولاً عند الدارسين⁽²²⁾.

أما صاحب قصد السبيل فقال: "المتن هو الكتاب الأصلي الذي يكتب فيه أصول المسائل، ويقابله الشرح..."⁽²³⁾، كما عرّف بأنه: "خلاف الشرح والحواشي"⁽²⁴⁾. ويراد به أيضاً ما ينتهي إليه السند من الكلام قال الحافظ في شرح النخبة: "والمتن هو غاية مل ينتهي إليه الإسناد من الكلام"⁽²⁵⁾.

03- أقسام المتن العلمية وأهمية العناية بها:

أما عن أقسام المتن العلمية فأهل الاختصاص فيهم من قسمها إلى ثلاثة أقسام وهي: إما أن تكون حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإما أن تكون نثراً أو نظماً كما ورد ذلك عند الدكتور عبد المحسن بن محمد القاسم: "والمتن إما أن يكون حديثاً عن النبي ﷺ/ وإما أن يكون نثراً أو نظماً"⁽²⁶⁾.

وفيه من قسمها إلى قسمين فقط هما: المتن العلمية المنظومة والمتن العلمية المنثورة، فأما المتن العلمية المنثورة فهي الأكثر، وأما المتن العلمية المنظومة في أبيات من الشعر تسمى بـ: "الشعر التعليمي" وغالباً ما تكون من بحر الرجز⁽²⁷⁾ وقد تكون من غيره⁽²⁸⁾، وهذا النوع من النظم "الشعر التعليمي" نظم علمي يخلو من العواطف ويقتصر على الأفكار والمعلومات والحقائق العلمية المجردة⁽²⁹⁾. هذه المنظومات العلمية تنقسم إلى قسمين:

أ- **منظومات في علم معين:** وهو مستقل كملحمة الإعراب للحريري، وألفية بن مالك في النحو⁽³⁰⁾.

ب- **منظومات لمتن معين:** مثل ألفية العراقي في نظم مقدمة ابن صلاح، ونظم العمريطي لمتن الأجرومية⁽³¹⁾.

وأما عن أهمية العناية بها فلا يخفى علينا ما للحفظ من أهمية بالغة خاصة إذا كان، كما قال في ذلك أهل العلم: "العلم ما حواه الصدر وإنما يكون حظ المرء من العلم بقدر ما

يستظهر منه في قلبه⁽³²⁾، وقيل أيضا: "لا خير في علم لا يغبر معك الوادي، ولا يغمُر بك النادي"⁽³³⁾.

وقد أكد على هذا الكلام الطاهر بن عاشور قائلا: "لا يعتبر العالم عالما ما لم يكن كثير الحفظ، نعم إن ضم إلى ذلك الاستنباط والتحقيق نال شهرة كبرى، ولكن لا يعد عالما ما لم يكن كثير الحفظ"⁽³⁴⁾.

وتشير بعض الدراسات المتخصصة أن على طالب العلم أن يبدأ بحفظ القرآن أولا ثم يأتي حفظ المتون في الدرجة الثانية لأهميتها في فهم مختلف فنون العلم: "ينبغي لطالب العلم إن يبدأ بحفظ القرآن أولا ... لكن ينبغي أن لا يكون ذلك حكما عاما يخاطب به الجميع، وإنما يوجّه ذلك لمن أراد حفظ المتون..."⁽³⁵⁾.

إن أهل العلم يؤكدون ويحرصون على أن طالب العلم يجب عليه أن يحفظ في كل فن من فنون العلم هنتا على الأقل، كما ينبغي عليه أن يعتني باستشراح ما حفظه من تلك المتون مع الدوام على المذاكرة ليثبت علمه فأفة العلم النسيان⁽³⁶⁾

من المفيد جدا لطالب العلم أن يحفظ متنا مختصرا في كل فن، وقد تكلم علماء الأمة عن ذلك كثيرا قال النووي رحمه الله: "وبعد حفظ القرآن، يحفظ من كل فن مختصرا، ويبدأ بالأهم، ومن أهمها الفقه والنحو، ثم الحديث والأصول، ثم الباقي على ما تيسر، ثم يشتغل باستشراح محفوظاته"⁽³⁷⁾.

وقال ابن جماعة رحمه الله: "ثم يحفظ من كل فن مختصرا يجمع فيه بين طرفيه، من الحديث وعلومه، والأصولين، والنحو والتصريف والتصريف، ولا يشتغل بذلك كله عن دراسة القرآن، وتعهده، وملازمة ورده منه في كل يوم..."⁽³⁸⁾

وتقدم بعض الدراسات نصائح لطلبة العلم ليتم تعلمهم: "قلو حفظ طالب العلم العقيدة الواسطية لابن تيمية، وثلاثة الأصول، وكتاب التوحيد للشيخ محمد، وفي الفقه مختصر الدليل، ومختصر المقنع، وفي الحديث بلوغ المرام، وفي النحو الأجرومية، واجتهد في فهم هذه المتون وراجع عليها ما تيسر من شروحها، أو كتب فنها، فإنها كالشروح لها لأن طالب العلم إذا حفظ

الأصول، وصار له ملكة تامة في معرفتها، هانت عليه كتب الفن كلها الصغار والكبار، ومن ضيع الأصول حرم الوصول⁽³⁹⁾. فمن حرص على هذه العلوم النافعة .

وكان ابن جماعة قد أكد على أهمية دراسة وحفظ المتون وعدم الاكتفاء فقط بالكتب: "ويشتغل بشرح تلك المحفوظات وليحذر من الاعتماد في ذلك على الكتب أبداً، بل يعتمد في كل فن من هو أحسن تعليماً له، وأكثر تحقيقاً فيه، وتحصيلاً منه، وأخبرهم بالكتاب الذي قرأه"⁽⁴⁰⁾.

وقدمت بعض الدراسات المتخصصة في مجال فنون العلم طرق سهلة تيسر حفظ المتون وهي: المداومة على حفظها، وعدم الإكثار من المحفوظ اليومي، والتأني في الحفظ...⁽⁴¹⁾.

هذا وتعتبر الطريقة التالية طريقة مثلى في حفظ المتون كما ورد ذلك عند عبد المحسن بن محمد القاسم في كتابه متون طالب العلم باتباع الخطوات الآتية:

- كرّر مقدار ما تريد حفظه عشرين مرة حفظاً وأفضل أوقات ذلك بعد صلاة الفجر .
- تكرار المحفوظ بعد العصر أو المغرب عشرين مرة .
- إعادة قراءة ما تم حفظه من قبل في اليوم الموالي عشرون مرة قبل البدء في حفظ مقدار جديد .

- بعدها يجب قراءة ما تم حفظه من أول المتن حتى موطن الحفظ الجديد.
- وبعد ذلك يجب على طالب العلم ان يحفظ الدرس الجديد بالطريقة نفسها.
- كما يتوجب عليه تكرير هذه الطريقة يومياً حتى ينتهي حفظ المتن ويرسخ المجفوظ.

04- المتون العلمية في ميزان علماء الأمة:

لقد وردت مجموعة أقوال عن علماء الأمة منهم من انتقد المتون ومنهم من استحسناها. فابن خلدون مثلاً كان من بين المؤرخين الذين أعابوا كثيراً على المتون العلمية في مقدمته مشيراً إلا أنها مفسدة للتعليم ومضرة في التحصيل على المبتدئين لأنها تخط الأمور عليهم، يقول ابن خلدون في نص طويل تعمدت ذكره حتى يتضح للقارئ ما يقصده العلامة من وراء كلامه في هذا الموضوع: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يولعون بها ويدنون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها،

باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، فصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم، وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه ... وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل، وذلك لأن فيه تخليطا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد بعد لقبولها وهو من سوء التعليم ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها. لأن ألفاظ المختصرات نجدها لأجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها صالح من الوقت . ثم بعد ذلك كله فالملكة حاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذ تمّ على سداذه، ولم تعقبه آفة، فهي ملكة قاصرة عن الملكات تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة لكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإحالة المفيدتين لحصول الملكة التامة. وغدا قصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة، فقصودوا على تسهيل الحفظ على المتعلمين، فأركبهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها...»⁽⁴²⁾.

كما دعم صاحب الفكر السامي كلام ابن خلدون حين قال أن المختصرات أفسدت كثيرا العلوم بل أدخلت العلوم الشرعية ومنها الفقه مرحلة الشيخوخة والإنعاش: "... في القرن الرابع بدأت فكرة الاختصار والإكثار من جمع الفروع بدون أدلة وشرح تلك المختصرات فبعدها كانوا في القرن الثالث مصنفين مبتكرين كأسد بن الفرات وسحنون... صار الحال في القرن الرابع إلى الشرح ثم الاختصار والجمع فانظر الفضل بن سلمة وابن أبي زمنين وابن أبي زيد والبرادعي اختصروا المدونة في عصر متقارب وهكذا نظرائهم في عصرهم من المذاهب الأخرى كالمزني حيث اختصر مذهب الشافعي والاختصار لا يسلم صاحبه من آفة الإفساد والتحريف فقد اعترض عبد الحق الاشبيلي مواضع من مختصر ابن أبي زيد القيرواني أفسدها الاختصار ... ولا يخفي أن الاشتغال بإصلاح ما فسد هو غير الاشتغال بالعلم نفسه... فالاشتغال بالمختصرات هو الذي أوجب الكهولة بل القرب من الشيخوخة التي دخل فيها الفقه في القرون الآتية»⁽⁴³⁾.

إضافة إلى الكثير من الانتقادات الأخرى الموجهة للمتون العلمية منها ذلك الانتقاد الذي وصف المهتمين بها بالمقصرين" ... بأن المهتمين بها في النهاية أعجز من غيرهم في التطبيق وتذوق النصوص ولا سيما النصوص الأدبية... وأن بأساليبها، ومحتوياتها، ومناهج تصانيفها، لا تتفق مع الحقائق التربوية الحديثة، والمناهج التعليمية العصرية لصعوبة أسلوبها ووعورة مضمونها⁽⁴⁴⁾.

لكن رغم ذلك إلا أن للمتون العلمية فوائد جمة حصرها الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن القاسم صاحب كتاب الدليل إلى المتون العلمية في ما يلي:

- إن الناظر في هذا النوع من التصنيفات على الرغم من كل ما قيل فيه من نقد، فنجد فيه عمقا علميا يتجلى فيه كثرة المعلومات وتنوعها وترتيبها ترتيبا محكما إضافة إلى ما فيها من الفوائد والإضافات التي لا توجد في المطولات⁽⁴⁵⁾.

- تساعد المتون العلمية على تكوين صورة مجملّة للفن الذي ألفت فيه، يستطيع الطالب الإحاطة بها في زمن وجيز وما هي إلا مدخل للعلوم فهي المدخل والبداية، والعلم الموجود في المتون أكثر منه فيما تلاها من المؤلفات الحديثة، ويحتاج دارسها إلى الصبر والجد والاجتهاد في فهمها، ويرى أيضا أن النقد الموجه للمتون وما يعيب عليها هو في الحقيقة مدح لها لأنه لا يستوي من يحصل العلم ببسر وسهولة ومن يحصله بكد ومشقة وعناء⁽⁴⁶⁾.

وفي هذا الباب أيضا قال البعض الآخر عنها: " حفظت من العلم جوهر ولبابه، وقامت ولا تزال بدورها الكريم في مسرح التعليم، من ذلك العصر البعيد إلى عصرنا الجديد"⁽⁴⁷⁾.

أما صاحب النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة فقد ذكر إيجابيات المتون العلمية قائلا: "العالم إنما يمتاز بفهم الغامض وإدراك البعيد، وحلّ المستغلّق، وذلك لا يكون إلا بتعويد المرء على شيء من الصعاب، ليمرن عقله على حلّ ما يماثلها،... كذلك لا يكون عقله قادرا على حل الصعاب إلا إذا عوّد عقله على حلّ مسائله عويصة متدرجا في ذلك"⁽⁴⁸⁾.

أما إذا ألّقينا نظرة على تراجم فطاحل العلماء والطريقة التي اعتمدوا عليها في تلقيهم مختلف فنون العلم نجدهم قد اعتمدوا اعتمادا كبيرا في دراسة وحفظ المتون العلمية، فهذا

الأسلوب في التصنيف يقوي عملية البحث والنقد وينمي قوة الصبر ويترك صاحبه يعتمد على نفسه .

خاتمة:

من خلال هذا البحث المتواضع يمكننا الخروج بالنتائج التالية:

- حفظ المتون العلمية ضروري لطلبة العلم حتى يكتمل تعلمهم وتصلق مواهبهم في فن من الفنون .

- موضوع المتون العلمية من المواضيع المهمة الجديرة بالدراسة والبحث .

- رغم أهمية المتون العلمية لطبة العلم إلا أن الكثير من العلماء أعاب عليها لما لها من سلبيات وفي مقدمتهم العلامة ابن خلدون .

- تعتبر الكتابات حول المتون العلمية خاصة تعريفها وأهميتها قليلة وقليلة جدا تكاد تحسب على أصابع اليد .

الإحالات:

¹ - سورة محمد، الآية 19 .

² - سورة العلق، الآية رقم (1- 5) .

³ - سورة الزمر، الآية رقم (9) .

⁴ - سورة فاطر، الآية رقم (27) .

⁵ - المقدسي أحمد بن عبد الرحمان بن قدامه (651هـ / 689م)، مختصر منهاج القاصدين، اعتنى به وعلق عليه عبد المنعم شلبي وحسين الزهران، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004، ص17.

⁶ - المقدسي، المصدر السابق، ص 17 .

⁷ - الحاج محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 م، ص 414 .

⁸ - المقدسي، المصدر السابق، ص 19.

⁹ - ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق الدكتورة ماريّا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعيداد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 258 .

- 10 - عبد العزيز بن إبراهيم بن القاسم، الدليل إلى المتون العلمية، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2000م، ص 07 .
- 11 - عبد المحسن محمد القاسم، متون طالب العلم محققة على 160 مخطوطة، الطبعة الرابعة، 2014م، ص 05 .
- 12 - عبد الله بن محمد الشمراني، الجامع للمتون العلمية غثنان وثلاثون متنا في مختلف العلوم مقابلة على عدة نسخ ومضبوطة ضبطاً كاملاً، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الثانية 2004 م، ص 11 .
- 13 - عبد العزيز بن إبراهيم بن القاسم، المرجع السابق، ص 68 .
- 14 - المرجع نفسه، ص 69 .
- 15 - أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي مصر، الطبعة الثانية 1392هـ، الجزء 05، ص 294 .
- 16 - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلاً كاملاً ومذيلة بفهارس مفصلة، كورنيش النيل، القاهرة، دون تاريخ، ص 4130.
- 17 - ابن منظور، المصدر السابق، ص 4130
- 18 - المصدر نفسه، نفس الصفحة .
- 19 - المصدر نفسه، ص 4131
- 20 - الزبيدي السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، مراجعة، الدكتور ضاحي عبد الباقي و الدكتور خالد عبد الكريم جمعة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، الطبعة الأولى، 2001م، الجزء 36، ص 144 .
- 21 - الدكتور شوقي ضيف وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة 204م، ص 883 .
- 22 - عبد العزيز بن إبراهيم بن القاسم، المرجع السابق، ص 66 .
- 23 - المرجع نفسه، نفس الصفحة، نقلاً عن المحبي قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، ج 02، ص 442 .
- 24 - المرجع نفسه، نفس الصفحة .
- 25 - المرجع نفسه، نفس الصفحة .
- 26 - عبد المحسن بن محمد القاسم، المرجع السابق، ص 11

- 27 - الرجز بحر من بحور الشعر وتسمى قصائده الأراجيز واحدها أرجوزة ويسمى قائله راجزا، وسمي بالرجز لأنه تتوالى فيه حركة وسكون، ثم حركة وسكون، وهو يشبه في بالرجز في رجل الناقة ورعدتها، وهو أن تتحرك وتسكن، ثم تتحرك وتسكن فيقال لها حينئذ رجزاء، والرجز ديوان العرب في الجاهلية والإسلام وكتاب لسانهم وخزانة أنسابهم وأحسابهم، ينظر: عبد العزيز بن إبراهيم بن القاسم، المرجع السابق، ص 67-68 .
- 28 - المرجع نفسه، ص 67 .
- 29 - نفسه، ص 68 .
- 30 - نفسه، نفس الصفحة .
- 31 - نفسه، نفس الصفحة .
- 32 - الدكتور خالد بن عثمان السبت، المعالم العشرة في حفظ المتون ويليهِ ملحق تطبيقي على منظومة الزمزمي في أصول التفسير، سلسلة إصدارات مركز التبيان للاستشارات، الطبعة الأولى، 2011م، ص 09 .
- 33 - الدكتور خالد بن عثمان السبت، المرجع السابق، ص 09 .
- 34 - الدكتور خالد بن عثمان السبت، المرجع السابق، ص 09 . نقلا عن الطاهر بن عثور أليس الصبح بقریب، ص 51 .
- 35 - المرجع نفسه، ص 26 .
- 36 - المرجع نفسه، ص 29 .
- 37 - الإمام النووي، المجموع شرح المذهب، أكمله محمد نجيب المطيعي، توزيع المكتبة العالمية بالفجالة، الجزء 01، ص 69 .
- 38 - عبد العزيز بن إبراهيم بن القاسم، المرجع السابق، ص 58 .
- 39 - عبد العزيز بن إبراهيم بن القاسم، المرجع السابق، ص 59 .
- 40 - ابن جماعة، تذكرة السامع والنتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق السيد محمد هاشم الندوي، طبع رمادي للنشر، الطبعة الثانية، 1416هـ، ص 169 .
- 41 - عبد المحسن بن محمد القاسم، المرجع السابق، ص 11 .
- 42 - ابن خلدون، مقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004م، ص 551 .
- 43 - الثعالبي سيدب محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، طبع مطبعة إدارة المعارف، الرباط، وكمل بمطبعة البلدية بفاس، 1340هـ، الربع الثالث، ص 154-155 .
- 44 - عبد العزيز بن إبراهيم بن القاسم، المرجع السابق، ص 71 .
- 45 - المرجع نفسه، نفس الصفحة .

- 46 - المرجع نفسه، ص 72 .
- 47 - المرجع نفسه، نفس الصفحة، نقلا عن مقالات منتخبة في علوم اللغة للدكتور عبد الكريم الأسعد، طبعة دار المعراج الدولية بالرياض، الطبعة الأولى 1415 هـ، ص 452 .
- 48 - عبد العزيز بن إبراهيم بن القاسم، المرجع السابق، ص 73 .
- قائمة المصادر والمراجع -
- أ- القرآن الكريم .
- ب- المصادر:
- 1- ابن جماعة، تذكرة السامع والتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق السيد محمد هاشم الندوي، طبع رمادي للنشر، الطبعة الثانية، 1416 هـ .
- 2- ابن خلدون، مقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004م .
- 3- ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعيداد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م .
- 4- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلا كاملا ومذيلة بفهارس مفصلة، كورنيش النيل، القاهرة، دون تاريخ .
- 5- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي مصر، الطبعة الثانية 1392 هـ، الجزء 05 .
- 6- الزبيدي السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، مراجعة، الدكتور ضاحي عبد الباقي و الدكتور خالد عبد الكريم جمعة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، الطبعة الأولى، 2001م، الجزء 36 .
- 7- المقدسي أحمد بن عبد الرحمان بن قدامه (651 هـ / 689 م)، مختصر منهاج القاصدين، اعتنى به وعلق عليه عبد المنعم شلبي وحسين الزهران، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004 .
- ج- المراجع:
- 01- السبب خالد بن عثمان، المعالم العشرة في حفظ المتون ويليهِ ملحق تطبيقي على منظومة الزمزمي في أصول التفسير، سلسلة إصدارات مركز التبيان للاستشارات، الطبعة الأولى، 2011م .
- 02- ضيف شوقي وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة 204م .
- 03- الحجوي الثعالبي سيد بن محمد بن الحسن، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، طبع مطبعة إدارة المعارف، الرباط، وكمل بمطبعة البلدية بفاس، 1340 هـ، الربع الثالث .

- 04- الشمراني عبد الله بن محمد، الجامع للمتون العلمية غثنان وثلاثون متنا في مختلف العلوم مقابلة على عدة نسخ ومضبوطة ضبطاً كاملاً، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الثانية 2004 م .
- 05- القاسم عبد المحسن محمد، متون طالب العلم محققة على 160 مخطوطة، الطبعة الرابعة، 2014م .
- 06- النويري الإمام، المجموع شرح المذهب، أكمله محمد نجيب المطيعي، توزيع المكتبة العالمية بالفجالة، الجزء الأول 07- محمد الحاج بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 م .
- بن القاسم - عبد العزيز بن إبراهيم، الدليل إلى المتون العلمية، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2000م .